مجلة عصور المجلد 17 العدد الثاني ديسمبر 2018
ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 868-2003 Depot légal

الانعكاسات السياسية والاقتصادية للوجود الهلالي في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني(633-962هـ/ 1235-1554م)

د. أمين كرطالي
قسم التاريخ/جامعة الجزائر 02
kartaliamine@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/10/28 تاريخ القبول: 2018/12/06

الملخص:

إن الدارس لتاريخ المغرب الأوسط خلال العهد الزياني سيلحظ تأثير بعض الجماعات القبلية في شتى نواحي الحياة، وهو أمر طبيعي باعتبار أنّ المجتمع المغاربي منذ العصور القديمة وإلى غاية بدايات القرن العشرين ظلّ مجتمعا قبليا تحكمه روابط الدم والحلف والجوار، يُهيمن فيه القبيلة على الحياة. فالقبيلة كانت آنذاك بمثابة الرحم الذي يحتضن الدولة في بداية نشأتها وإلى القبيلة يكون الانتماء ولأجل مصلحتها يُعقد الولاء.

ومن بين القبائل التي صنعت الحَدث في تاريخ المغرب الإسلامي عموما وتاريخ المغرب الأوسط على وجه الخصوص"القبائل العربية" التي عرفت في كتب التاريخ بالقبائل

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني Depot légal 868-2003

الهلالية[1]، وهي القبائل التي تمكنت عقب انتصارها في معركة سبيبة سنة(457هـ/1065م) من التسلل والانتشار التدريجي عبر مجالات وبوادي المغرب الأوسط، متربصة بالتلول و متحينة فرصة الانقضاض عليها2، وكان لهذا الحراك القبلي عدة انعكاسات ألقت بظلالها على الحياتين السياسية والاقتصادية سنحاول أن نبرزها.

Abstract :

This historical article is trying to give an integrated picture of the history of the Zayani state, and aims to study the most important political and economic repercussions that resulted from the presence of the Hilal tribes in the Middle Maghreb during the Zayani era, the researcher

1- عدلنا عن استعمال لفظ" القبائل الهلالية، واستعملنا لفظ"القبائل العربية "، لأن الثاني يعبر عن الحقيقة التاريخية، فلم تكن كل القبائل مندرجة في عداد بني هلال، وهو مايوضحه عبد الرحمن بن خلدون بقوله :((وكان فيهم من غير هلال كثير من فزارة وأشجع من بطون غطفان، وجشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وسلول بن مرة ابن صعصعة بن معاوية والمعقل من بطون اليمنية وعمرة بن أسد بن ربيعة بن نزار وبني ثور بن معاوية بن عبادة بن ربيعة البكاء بن عامر بن صعصعة وعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان وطرود بطن من فهم بن قيس إلا أنهم كلهم مندرجون في هلال وفي الأثبج منهم خصوصا، لأن الرئاسة كانت عند دخولهم للأثبج و هلال فأدخلوا فيهم وصاروا مندرجين في جملتهم)). ينظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، ط2، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م، ج6صص22-25.

2- راضي دغفوس، دراسات عن بني هلال والهجرة الهلالية، منوبة: مركز النشر الجامعي، 2015،، ص82.

ردمد ISSN 1112-4237 الايداع القانوني Depot légal 868-2003

explained through this article that the Hilal tribes contributed to the weakness of the Zayani, Their forces, in addition to causing chaos and tampering with the security and stability of the state and reduce their financial resources, and the most important political implications of the independence of many rural and some cities from the Zayani state. One of the most serious political repercussions has been the role played by these Arab tribes, which led to a sharpening of the conflict between them and their neighbors from the Hafsis and the Marines; On the economic side, Hilali's presence also had several implications for agriculture, irrigation, trade and the reduction of state resources.

Abstract : Zayani state; financial resources; Hilal tribes; agriculture; Hafsis; Marines.

المقدمة:

لم تكن الدولة الزيانية التي أشرفت على جزء هام من بلاد المغرب الأوسط طيلة الفترة الممتدة من(633-962هـ/1235-1554م) بالدولة القوية التي يمكنها أن تفرض نفسها داخل بلاد شاسعة مترامية الأطراف خلال حقبة عصيبةٍ عرف فيها العالم الإسلامي أبشع حالات التقهقر والانحطاط الذي سمح للنورمانديين بصقلية وأمراء النصارى بالأندلس أن يُسيطروا على الملاحة والتجارة في البحر المتوسط. وفي الوقت الذي ساد في أوربا والعالم المسيحي مفهوم الأمة المسيحية وبدأت تظهر بوادر مشروع إحياء الإمبراطورية التي تقود الأمة النصرانية لتحقيق

أمجادها كانت دويلات المغرب الإسلامي التي خلفت الدولة الموحدية(546-668هـ/1151-1269م) تشهد حالة من التمزق والتشرذم المؤذن بزوال هذه الدويلات. ومما زاد الأمر تعقيدا وجود القبائل الهلالية التي منذ انتصارها الباهر على الحماديين في موقعة سبيبة سنة(457هـ/1064م) بادرت إلى التقدم بشكل تدرجي صوب إقليم الزاب الأوسط والغربي، ومنه بدأت تتربص بقرى ومدن المغرب الأوسط، وقد ترتب عن هذا الزحف الهلالي عدة تحولات وانعكاسات ألقت بظلالها في شتى نواحي الحياة.

أ- الانعكاسات السياسية:

نجم عن وجود القبائل العربية الهلالية بالمغرب الأوسط الكثير من الانعكاسات التي يمكن أن نجملها في النقاط التالية:

1- ضعف السلطة المركزية:

كان للقبائل العربية دور كبير في إضعاف قبضة سلاطين بني زيان على بلاد المغرب الأوسط، فسرعان ما اصطدمت هذه القبائل بالجيوش الزيانية منذ أيام يغمراسن بن زيان(633-680هـ/1235-1282م)[1]، والذي بلغت حروبه ضدهم نحو اثنين

1- يغمراسن بن زيان: هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد العبد الوادي، أول من استقل بتلمسان من سلاطين بني عبد الواد، وأول من خلط زي البدواة بأبهة الملك، بويع سنة 633هـ/1236م، وتوفي في طريقه إلى تلمسان عائدا من تونس سنة 681هـ/1282م. ينظر: يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، الجزائر: المكتبة الوطنية، 1980م، 204/1.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 2003-868 Depot légal

وسبعين غزوة[1]. وتشير المصادر التي أرخت للدولة الزيانية أن بداية الصّراع ضدهم يعود إلى سنة(639ه/1242م)، وذلك حين انزعج أبو زكريا الحفصي من الحلف الذي عقده يغمراسن بن زيان مع أبي محمد الرّشيد الموحدي(630-640هـ/1232-1242م)، فنهض إلى تلمسان مستعينا ببدو بني سليم ورياح ودباب وزغبة وقرفة وثوبة [2].

وأشار يحيى بن خلدون بنوع من الإسهاب لتفاصيل هذا الحلف العسكري ضد الدولة الزيانية الناشئة فقال: "وفي سنة تسع وثلاثين أتته من مراكش هدية أبي محمد عبد الواحد الرشيد ابن إدريس المأمون ابن يعقوب المنصور ابن يوسف العسري ابن عبد المؤمن ابن علي استئلافا له دون الأمير أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص عمر الثائر يومئذ بأفريقية، فأنف المذكور لها واستجاش أهل أفريقية من الموحدين ومواليهم وأحلافهم من العرب كافة؛ كدباب وسليم ورياح وزغبة وهوارة وقرفة وثوبة"[3].

واستمر تربص القبائل العربية بالدولة الزيانية وتكرر في عدّة مناسبات، فأثناء حصار السلطان المريني يعقوب بن يوسف لتلمسان، استغلت قبائل سويد والديالم وبنو يعقوب

1- محمد بن عبد الجليل التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد، الجزائر: المؤسسة الوطنيّة للكتاب، 1985م، ص128.
2- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السّابق، 7/صص107-108.
3- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، 205/1؛ محمد التنسي، المصدر السابق، ص117.

بن عامر هذه الأوضاع لبسط نفوذها، وتوسيع مجالاتها، فتملكت بلاد السرسو[1].

وجدير بالذكر أن الموقع الجغرافي للدولة الزيانية جعل حدودها عرضة لهجمات المرينيين في الجهة الغربية والحفصيين من الجهة الشرقية، وكان على الزيانيين أن يشتروا ود القبائل العربية التي تتاخم مجالاتها حدود دولتهم، وفي حالة تدهورت علاقة الزيانيين بشيوخ هذه القبائل فإن الثمن الذي سيدفعه السلاطين سيكون باهظا. ففي القرن الثامن الهجري نتج عن تمرد القبائل العربية فقدان الدولة حق الأشراف على كثير من المجالات بل وربما نتج عنه سقوط الدولة بأكملها نظير ما حصل أيام الصراع بين بني مرين والزيانيين في عهد أبي الحسن المريني الذي أسفر عن إنهاء للدولة الزيانية الأولى لتتمكن عقب ذلك قبيلة سويد من الاستبداد ببلاد توجين، وأحكمت سيطرتها على البطحاء[2] وتنس وسيرات وما جورها من المدن كما أحكم الثعالبة قبضتهم وبسطوا نفوذهم على سهل متيجة وأذهبوا ملك قبيلة ملكيش منها[3].

1- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، 130/7.

2- البطحاء هي مدينة مندثرة، كانت تقع قريبا من غليزان، وقد تحولت إلى مجالات لقبيلة فليتة. ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت: دار الغرب الاسلامي، 1983م، 28/2.

3-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 84/6.

ردمد ISSN 1112-4237 الايداع القانوني Depot légal 868-2003

وفي أواخر القرن التاسع الهجري ضعف الزيانيون عن مجابهة شيوخ القبائل، وصاروا يستعينون بقبائل أخرى حليفة[1]. فسعت القبائل البدوية إلى طرق التلول تاركة الصحاري والقفار، ثمّ استطاعت هذه القبائل أن تستقل بكثير من البوادي والأرياف[2].

لقد كان لغياب قوة رادعة تمنع تقدم هذه القبائل، بالإضافة إلى خلو بعض المدن من حامية كافية للذود عنها آثار وخيمة جعلت مجالات المغرب الأوسط لقمة سائغة لشيوخ العرب[3]. وتحول بذلك بنو هلال إلى كابوس أرق السلاطين، وفتّ

1- رشيد بوروبة وآخرون: الجزائر في التاريخ– العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية الحكم العثماني-، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، صص467-471.

2- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمّد مزالي والبشير بن سلامة، ط2، تونس: الدّار التّونسيّة للنّشر، 1983م، ص207؛ محمّد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، ط1، تونس: جامعة تونس، 1999، 103/1.

3- من ذلك ما فعله خالد بن عامر وبنو يعقوب والمعقل، حين قاربوا تلمسان و عاثوا فسادا في ساحاتها، ونفس الشيء بالنسبة لحاضرة تونس حيث نزل الأعراب بها وضيقوا على سلطانها. وقريب منه ما حصل في أيام أبي اسحاق الحفصي حيث استولت العرب في أيامه بتونس على القرى والمنازل ونهبوا الأموال والحريم، واضطر إلى أن يكتب الظهائر للعرب، وهو أول من فعلها من بني حفص. ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، 506/2؛ أبو القاسم البرزلي، نوازل البرزلي"جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام"، تحقيق: محمد الحبيب هيلة، ط1، بيروت: دار الغرب الاسلامي، 2002م، 6/صص179-180؛ أحمد ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمّد الشّاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس: الدار التونسية للنشر، 1968 م، ص139.

ردمد ISSN 1112-4237 الايداع القانوني 2003-868 Depot légal

من عضد دويلاتهم المتهالكة[1]. واشتط العرب في مطالبهم مقابل كفهم عن شن الغارة، وترويع السابلة، فيذكر ابن خلدون أن العرب:" كانوا يزرعون الأراضي في بلادهم بالتلول ولا يحتسبون بمغارمها فيضيق الدخل، ويمنعهم السلطان العطاء من أجل ذلك، فتفسد طاعتهم، وتنطلق بالعيث والنهب أيديهم"[2].

وإذا كان بعض السلاطين قد حاول أن يروض هذه القبائل، بالحزم تارة كما فعل أحمد العاقل الزياني، الذي ذكر التنسي أنه:" أظهر في أول أيامه الحزم أمام اللصوص والعربان"[3]، وأبي فارس عزوز الذي ضرب بيد من حديد، والذي قال عنه أحمد بن يحي الونشريسي :" أن الله قطع به أهل الزيغ والفساد من أهل البادية والبلاد"[4]. فإن هذا الترويض يُعد استثناءا وغالبا ما يكون مجرد إنجاز سلطان شجاع لا مشروع دولة قوية فسرعان ما كانت تعود هيف إلى مذاهبها عقب وفاة

1- محمد بن محمد العبدري، رحلة العبدري، تحقيق: علي إبراهيم كردي، ط2، دمشق: دار سعد الدّين، 2005م، ص25. محّمد الهادي الشّريف، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس، تعريب: محّمد الشاوش-محّمد عجينة، ط3، تونس: دار سرّاس للنّشر، 1993م، صص 50-51، صص 57-58؛ مولاي بلحميسي، نهاية دولة بني زيان، الأصالة، عدد26، السنة الرّابعة، 1975، جويلية – اوت، عدد خاص عن تاريخ تلمسان وحاضرها، ص33.

2-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 577/6.

3- محمد بن عبد الجليل التنسي، المصدر السابق، ص249.

4- أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، طبع بإشراف محّمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981م، 10/10.

ردمد ISSN 1112-4237 الايداع القانوني Depot légal 868-2003

أو زوال أمثال هؤلاء السلاطين القلائل[1]. وبسبب تزايد نفوذ القبائل العربية واستبداد شيوخا بكثير من بوادي وأرياف المغرب الأوسط فقدت الدولة حق الإشراف على جباية الضرائب من سكان تلك الأقاليم الشاسعة وأصبح ذلك من احتكار القبائل المستقلة[2].

ورغم أن شيوخ القبائل العربية كانوا أحد أسباب ضعف السلطة المركزية في بلاد المغرب الأوسط، فإنهم لم يسمحوا بزوال الدولة الزيانية، ولم يقبلوا بأن يتربع على عرش تلمسان حكامٌ جددٌ، قد يكونوا سببا في زوال سلطانهم وتقلص نفوذهم، فأدوا دورا لافتا لغرض حفظ عرش الزيانيين وكذا الحفصيين أثناء الظروف العصيبة التي ألمت بدويلاتهم[3]؛ وهو ما حدث في منتصف القرن الثامن الهجري على إثر اكتساح أبي الحسن المريني ومن بعده ابنه أبو عنان مدينتي تلمسان وتونس، عندما قام عرب الكعوب من بني سليم أعراب إفريقية بالثورة على أبي الحسن[4]، تلك الثورة التي عجلت بهزيمة هذا الأخير سنة(748ه/1347م). وانطلقت أيدي الأعراب على الضواحي

1-جون.ب.وولف، الجزائر وأوربا 1500-1830، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ط1، الجزائر: عالم المعرفة، 2009م، ص24.

2- محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002م، ص58.

3-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 112/7.

4- يرى أبو حمو موسى الثاني أن سبب هزيمة أبي الحسن في موقعة القيروان هو احتقاره للعرب. ينظر: أبو حمو موسى الثاني، واسطة السلوك في سياسة الملوك, تحقيق: محمود بوترعة، الجزائر: دار الشيماء للنشر والتوزيع، 2012م، ص187.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني Depot légal 868-2003

وانتقض المغرب من سائر أعماله[1]. فاستعاد الحفصيون عرشهم فيما استغل الأمير أبي ثابت الزياني الفرصة وأحيى الدولة الزيانية من جديد بعد أن تحالف مع بني عامر والمعقل[2].

ونلاحظ أن الأمر تكرر بعد وفاة السلطان المريني أبي عنان، حيث انتهزت قبائل بني عامر الفرصة فنصّبتْ أبا حمو موسى الثاني بعد أن تحالف هذا الأخير مع أبي اسحاق الحفصي وقبائل بني عامر و جماعة من زناتة. لقد مكّنَ هذا التّحالف كّلا من السلطانين الزياني والحفصي من استرجاع دولتهما، فسار أبو حمو من بلاد الجريد إلى تلمسان غازيا كل القبائل التي في طريقه، لا سيما أولاد عريف شيعة بني مرين وأسفرت هذه الحركة عن قتْل الكثير من رجالات أولاد عريف على غرار عثمان بن ونزمار بن عريف[3] ليأتيهم الخبر بموت السلطان أبي عنان، فبايعت أغلب أحياء العرب أبا حمو سنة 760هـ سُلطانا على المغرب الأوسط[4]. وفي ذلك يقول السلطان أبي حمو منوها بشجاعة العرب، ومشيدا بشدة بأسهم أثناء رحلته قصد استعادته أمجاده من أبي عنان:

1-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 154/7.

2-المصدر نفسه، 157/7.

3- هو أحد شيوخ أولاد عريف من زغبة الذين تملكوا كرسيف بالمغرب الأقصى، وكان مواليا للمرينيين ولأبي عنان، وقتل مدافعا عن الدولة المرينية ضد بني عامر وشيخهم صغير بن عامر جنوب تلمسان. ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السّابق، 399/7.

4- محمد التنسي، المصدر السابق، ص159.

ردمد ISSN 1112-4237 الايداع القانوني 2003-868 Depot légal

تسربلت كردوسين منآل عامر ومن آل إدريس الشريف ابن القاسم
رجالٌ إذا هاج الوسيط تراهم أسود الوغى من كلِّ ليـــثٍ ضبارم
إلى أن قال:
فحاز النا فيها صغير بن عامر كما حاز من قبلُ دياب بن غانـــم

وتوالت البشائر على أبي حمو موسى الثاني، فقد حظي بتأييد من بعض بطون قبيلة المعقل التي كانت قبل ذلك تدعَم المرينيين مثل ذوي منصور من العمارنة وقبيلة المنبات. وأدّى الوزير عبد الله بن مسلم دورا كبيرًا لضم هذه القبائل إلى صفّ أبي حمو[1]، ثم بادر أبو حمو موسى الثاني إلى استقدام بطون قبيلة المعقل إلى ضواحي تلمسان وأقطعهم الأراضي وصيّرهم أحلافا لبني عامر بن زغبة[2] وجدارا منيعا ضد خصومه من بني مرين[3].

1- عبد الله بن مسلم: هو سيد بني برزال، استوطن المغرب إلى أن ولاه أبو عنان القيادة وجعله واليا على درعة وأنحائها واستمال القبائل بإحسانه وصار بمثابة الأمير المطاع والرئيس ذو الأتباع، فلّما علم بتوطّد الأمر لأبي حمو موسى الثاني أرسل إليه مُبايعا إياه، وحول الأعراب الذين بجهته لطاعة أبي حمو وهلك سنة 749 هـ بسبب الطاعون، أثناء مسيره لقتال أبي زيان الخارج على أبي حمو موسى الثاني. يُنظر: زهرة البستان, صص80-81؛ عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق, 170/7.

2- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 124/7-132.

3- سرعان ما تحولت هذه القبائل إلى شرارة اصطلى بحرها سلاطين بني زيان,فمثلا حين أسند أبو حمو موسى الثاني رئاسة بني عامر لشعيب بن عامر، غضب أخوه خالد بن عامر وتحالف مع محمد ابن أبي سعيد ابن عم السلطان أبي حمو موسى، رفقة قبيلة المعقل763ه. زهرة البستان، ص211.

ردمد ISSN 1112-4237 الايداع القانوني Depot légal 868-2003

كانت الأزمات السياسية تزيد من رفعة شأن شيوخ القبائل، فصاحب زهرة البستان لما تكلم عن استمالة أبي حمو للأعراب قال في معرض مدحه ووصفه له بالذكاء والحنكة: "انظر كيف خرج من بلده فلا فريدا مطلوبا في نفسه شريدا فجمع عليه عتاة العرب واستمالهم وخدمهم بالأطماع وزيّن لهم أعمالهم فانقادوا إليه على عتوهم ونفورهم"[1]. وقوله "وخدّمهم بالأطماع" يبيّن لك أنّ التحالف مع القبائل العربية كان بثمن باهض من إطلاق أيديهم لجمع الضرائب، ومنحهم الكثير من الأراضي والتقدم لهم بالعطايا والهدايا والهبات إلى غير ذلك من وسائل كسب الولاء، وأقطع أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م) لقبيلة المعقل أراضي زراعية كثيرة بضواحي تلمسان، ومنح قبيلة بني عامر الكثير من الاقتطاعات وقام بكسوة العامريّين رغم كثرة أعدادهم وبدل لهم المنح المالية المعتبرة في مناسبات مختلفة[2]، وكذلك فعل مع قبيلة الذواودة التي أشار ابن خلدون إلى أنّ الدولة الزيانية:" تلافت أمرهم بالاصطناع والاستمالة وأقطعوهم ما غلبوا عليه من البلاد بجبل أوراس والزاب، إضافة إلى مدن إقليم الحضنة مثل نقاوس ومقرة والمسيلة"[3].

2- الاستقلال بالبوادي والأرياف وبعض المدن:

1-زهرة البستان، المصدر السّابق، ص40.

2-عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 212/1.

3-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 46/6.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني Depot légal 868-2003

بسبب ضعف الدولة الزيانية وكذا الدولة الحفصية(625-981هـ/1227-1574م) التي أشرفت على جزء هام من بلاد المغرب الأوسط تطّلع شيوخ القبائل لفرض سيادتهم على كثير من بوادي وأرياف وبعض مدن المغرب الأوسط ففرضوا أنفسهم كحكام فعليين في هذه النطاقات واستبدوا بإدارتها، بل ودعموا في مرات كثيرة الأمراء والعُمّال المتمردين على الدولة في مدن مثل وهران وتنس ومازونة وجزائر بني مزغنى وغيرها[1].

فالذووادة مثلا قد تحكموا في كثير من أرياف بلاد الجريد، وأضحوا هم الحكام الفعليين لا سيما أيام أمير البدو علي بن يعقوب، والذي حول أرياف الجريد إلى قاعدة تحاك فيها المآمرات ضدّ السلطة المركزية، واستبد أولاد يحي بن سباع على ما غلبوا عليه من البلاد بجبل أوراس والزاب، وكانت سهول متيجة ومدينة الجزائر تخضع لنفوذ شيوخ القبائل لا سيما الثعالبة الذين استبد شيوخهم بحكم مدينة جزائر بني مزغنى، وتملك بنو عامر ضواحي مدينة وهران كتاسالة وجبل هيدور وكيدزة المشرف على المدينة[2].

أما مدن مستغانم وشلف والمدية فرضخت لسُلطة وحكم شيوخ القبائل العربية إما بطريقة مباشرة كمدينة المدية وبلاد صنهاجة التي تحولت إلى مملكة استقلت بإدارتها قبيلة

1- عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، دراسة سياسيّة عمرانيّة ثقافيّة، قسنطينة، طبع دار البعث، 167/1.

2-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 64/6.

ردمد ISSN 1112-4237 الايداع القانوني 2003-868 Depot légal

حصي، أو عن طريق ترشيح مشيخة بربرية تضمن ولائها والتزامها بوسوم الطاعة. ومن ذلك تبعية بطون بني توجين لسويد والتزامها أداء الجباية والعسكرة معهم[1].

3- تأجيج الصراع بين سلاطين المغرب الاسلامي:

مثل الصراع بين الحفصيين والمرينيين والزيانّيين سمة عصر ما بعد دولة الموحدين، إذ سعت كل دولةٍ من هذه الدويلات إلى الهيمنة على حساب الدولة الأخرى محاولة توسيع رقعتها الجغرافية ومعتبرة نفسها الوريث الشّرعي للموحدين. وأدى شيوخ القبائل العربية دورا خطيرا أزم الاوضاع بين سلاطين هذه الدويلات، فالذووادة مثلا تحالفوا كثيرا مع الزيانيين نكايةً في الحفصيّين المرينّيين أيام أبي الحسن وابنه أبي عنان فيما نجد أنّ قبائل رياح قد أعانت أبا حمو في استعادة أملاك الدولة الزيانية من المرينيين بعد وفاة أبي عنان، أما آل عريف فحشدوا قبائل حصين وسويد ضد الزيانيين وهو ماترتب عنه إنهاء حكم الزيانّيين في مناسبتين متكررتين. وكذلك حاول خالد بن عامر أن ينتقم من أبي حمو موسى الثاني بالتحالف مع المرينيين لكنّ تماطل المرينيين جعله يُعاود طاعة الزيانيين، أما قبيلة المنبات من ذوي حسان المعقلية فقد تحالفت مع الزيانيين ضد المرينيين في عدة مناسبات[2]. بينما أدى تحالف ذوي عبيد الله المعقليين

1-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 217/7.

2- المصدر نفسه، 80/6.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني Depot légal 868-2003

مع أبي حمو سنة(773ه/1372م) إلى تأزم العلاقة بين المرينيين والزيانّيين[1]، وأيضا تسبّب آل عريف في اندلاع كثير من المعارك بين بني زيان وبني مرين وهي المعارك التي جلبت على تلمسان الخراب.

وفي الإقليم الشرقي لبلاد المغرب الأوسط لعبت القبائل المقيمة في المجالات الحدودية بين الزّيانيين والحفصيين نفس الدّور بأأجت الصراع بين الدولتين، وهو ما نستشفه من خلال حوادث سنة(729هـ/1329م) عندما حرض حمزة بن عمر بن أبي الليل شيخ بني يزيد الزيانيين على غزو بجاية ووعدهم بنصرة الأعراب لهم، الأمر الذي دفع أبا بكر الحفصي إلى الاستنجاد بالمرينيين[2].

وكان سلاطين بني زيان يُدركون أهمّية استعمال القبائل العربية من أجل تحقيق أغراضهم السياسية، فقد وصلوا أيديهم بالقبائل المقيمة في جوار خصومهم قصد التشغيب عليهم. فمثلا نجد أنّ السلطان أبا تاشفين لم يتوقف عن تحريض الذواودة المجاورين للحفصيين. كما أنّ أبا حموا انتهج هذه السياسة فكان يوسل لجماعة السنية من أتباع سعادة كلّ سنة جوائز حتى يستميلهم[3]. و أيضا نلاحظ أنّ السلاطين

1- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني "حياته وآثاره"، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص141.

2- محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986م، ص344.

3-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 53/6.

الزيانيين كثيرا ما حاولوا شراء طاعة شيوخ قبائل ذوي منصور وذوي حسان[1] المعقليين بسجلماسة للتشغيب على بني مرين وأشياعهم من العرب.

وبهذا أدى شيوخ القبائل دورا لافتا في تأزم العلاقات بين سلاطين دويلات المغرب الثلاثة وهو ما تولد عنه ضعف هؤلاء السلاطين وتلاشي قوتهم، كما ساهم في توسيع أقطاعات شيوخ القبائل العربية وأدى أيضا إلى خراب مدن المغرب الأوسط.

4- مساهمة بعض القبائل الهلالية في توطيد أقدام الاسبانيين:

مع بدايات القرن العاشر الهجري احتل الإسبانيون المرسى الكبير سنة(911هـ/1505م) ثمّ وهران سنة(915هـ/1509م) وعلى إثر ذلك حاولوا التوسع في أراضي المغرب الأوسط على حساب الزّيانيين. وقد انقسمت القبائل العربية في غرب المغرب الأوسط إلى قبائل متحالفة مع الاسبانيين وقبائل معادية لهم وقبائل رعية خضعت لنفوذهم بسبب ضعفها. فالقبائل الحليفة[2] مثل الكثير من فُروع بني عامر الذين أصبحوا رعايا للاسبانيين فيما تحول بطن شافع العامري إلى جند للإسبانيين، وكانوا قرابة

1- كانت مواطن ذوي منصور من تاوريرت إلى بلاد درعة فكان لهم من ملوية كلها إلى سجلماسة، ولهم أيضا نفوذ على درعة و ما يحاذيها من التل مثل تازي وغساسة ومكناسة وفاس وبلاد تادلا، وأمّا مواطن ذوي حسان فمن درعة إلى البحر المحيط، ويصل نفوذهم إلى السوس الأقصى وما إليه. ينظر: المصدر نفسه، 77/6.

2- أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجمان في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي بوعبدلي، قسنطينة: منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1973م.،ص438.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 868-2003 Depot légal

عشرين دوارا[1]، وأولاد علي القبيل الذين ناهزوا سبعين، وكان أحد شيوخهم وهو رابح بن صولة يكثر من شن الغارات ضد القبائل الخارجة عن طاعة الاسبانيين[2]، وعلى نفس المنوال سار الونازرة وقيزة وأولاد عبد الله من بني عامر[3]. وتعاونت قبائل حميان العربية والذين أطلق عليهم المشرفي " القبائل المتنصرة" مع الإسبانيين، وقام شيخهم بجلب الماء إليهم بعد حصار الباشا إبراهيم لهم سنة (1050هـ/ 1641م)، وكانت هذه القبائل كما يقول المشرفي :"أهل نجدة وبأس شديد وقتال عنيد ورأي وتدبير وحيلة وتشمير فتقوى بهم الاسبانيون بغاية التمكين، واشتدت شوكتهم على المسلمين واعتدوا بهم وصاروا مشتّدين، وأكثروا من شّن الغارات على الأقربين والأبعدين، فكانوا عيونهم الباصرة، وجنودهم الهائلة المكاثرة وإخونهم النصحاء وأحباؤهم النّجباء"[4] وبهذا النص نجد تصريحا من المشرفي عن إذعان هذه القبائل للإسبانيين[5].

1- عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق :محمد بن عبد الكريم، بيروت: دار الحياة، 1972م، صص 26 -27 و ص31؛ محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران، ص146.

2- عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص31.

3- المصدر نفسه، ص32.

4- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص26.

5- عبد القادر المشرفي، المصدر نفسه، صص13 -16. أحمد بن عبد الرّحمن الشّقراني الرّاشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط, تحقيق وتقديم: ناصر الدّين سعيدوني، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1991م، صص65-68.

ومن مظاهر ولاء بعض شيوخ القبائل للإسبانيين ما قام به بعضهم من بث لّدعاية لصالحهم لذلك قال المشرفي عن هذا الصنف من القبائل أنهم :"صاروا شجى في حلق الدين باحتكام، وقذى في عيون الإسلام وحلاوة في قلوب الكفرة اللئام"[1].

وكانت الإمبراطورية الإسبانية تعول كثيرا على دعم هؤلاء الشيوخ لعلمها بكونهم عنصرا مهمالهم وحلفائهم من السلاطين الزيانيين، و نجد في رسالة من لبريخا كوريجبدور وهران إلى الإمبراطور بتاريخ(2 سبتمبر 1531الموافق لـ20محرم938م)، ما نصه:"إنني باذل قصارى جهدي لإقناع عرب المملكة-تلمسان-بأن ينضموا إلينا"[2]. ويعتبر ابن رضوان من أشهر شيوخ القبائل العربية الذين تحالفوا مع الاسبانيين، والذي كثرت مراسلاته إلى ملوك إسبانيا أثناء طلبه العون منهم[3]، وتظهر هذه المراسلات مدى استعداده لمحاربة العثمانيين ومن تحالف معهم من العرب[4]، وتزايد نفوذ ابن رضوان بعد أن تحول الزيانيون إلى

1- عبد القادر المشرفي،المصدر السابق، ص26.

2- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792 م، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص250.

3- كان عبد الرحمن بن رضوان أحد كبار شيوخ بني عامر، وقد صاهر بعض سلاطين بني زيان، وكان له حفيد منهم وسعى إلى تنصيبه، فاستعان بالأسبانيين وقد شارك في حملة مارتينيز دي أونجيلو (Alonso Martinez Angelo) سنة 1535م، وهي الحملة التي تمكن الزيانيون من تشتيتها بفضل جهود المنصور بن غانم شيخ بني راشد.يُنظر: دغموش كاميلية، المرجع نفسه، ص40.

4-دغموش كاميلية، المرجع نفسه، ص252.

جثة هامدة تعبث بها سياسة الاسبانيين، و تتحكم فيها أهواء بني عامر بن زغبة[1].

وقد صرح الفقهاء بتكفير بطون بني عامر المتعاملة مع الإسبانيين ومن سار على دربهم كقول العلامة أبي العباس أحمد بن أبي محلي الذي ملك مراكش:

فمن مبلغ عني قبائل عامر ولا سيما من قد ثوى تحت كافر
فصرتم من جور البغاة كأنكم يهود الجزا تعطونها بالأصاغر[2]

ونجد مثل هذه الأحكام في حق القبائل العربية المتعاونة مع الاسبانيين عند الحلفاوي[3] وأيضا عند المشرفي صاحب كتاب بهجة الناظر[4].

فيما نجد أن بعض القبائل العرّبية كانت معادية لهم، كهبرة والبرجية ومجاهر وغيرهم من الذين لم يدخلوا تحت طاعة الاسبانيين[5]. وكان لهبرة حروب عظيمة معهم حتى فنيت

1-مولاي بلحميسي، المرجع السابق، صص30-37.

2- عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، صص 32-33؛ أبو راس محمد بن الناصر النّاصري، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، تحقيق: سليمة بنعمر، ط1، ليبيا: دار صنين للطباعة والنّشر، 1370هـ-2002م، ص207.

3- أبو زيد عبد الرحمن الجامعي، فتح مدينة وهران، ضمن "تاريخ تحرير وهران من الاحتلال الاسباني خلال القرن الثامن عشر الميلادي من خلال مخطوطتين"، تحقيق: مختار حساني، جامعة الجزائر، 2003م، 1/ 35.

4- عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، صص12-16.

5- يُشار إلى أنه لا يعد من قبائل المغطسين القبائل الرعية، وهي التي دخلت تحت حماية الاسبانيين بعد احتلالهم وهران و بجاية بسبب ضعفهم ووقوعهم ضمن مجالات نفوذهم، كما هو الشأن بالنّسبة لبعض قبائل مستغانم ومزغران وكثير من

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني Depot légal 868-2003

أعداد كبيرة منهم[1]. فيما خضعت بعض القبائل بسبب ضعفهم، كما هو الأمر بالنسبة لكثير من بطون بني عامر التي كانت فقط مقيمة في جوار الإسبانيين، وسبب عدم اتخاذها موقفا ثوريا ضد الإسبانيين قد يكون راجعا إلى طبيعة المجال الجغرافي الذي كانت تقطنه، والذي يتشكّل أغلبه من الأراضي المنبسطة التي لم تسمح لهم بالاستفادة من الدفاعات الجغرافية الحصينة[2].

ب-الانعكاسات الاقتصادية:

ترّتب عن الوجود العربي الهلالي في بلاد المغرب الأوسط عدة انعكاسات اقتصادية. وعكس الانعكاسات السياسية التي كانت إلى حد كبير غالبها سلبية فإن الانعكاسات الاقتصادية عرفت بعض الجوانب الإيجابية.

1- الزراعـــة:

حاول بعض المؤرخين الفرنسيين إبّان الحقبة الاستعمارية أنّ يبالغوا في الحط من القبائل العربية، محاولين تحميلها وحدها مسؤوليّة تقلص الموارد الزراعية خلال العهد الزياني، وهو ما نجده في كتاب أرنست مرسي (Ernest Mercier) الصادر عام 1875م تحت عنوان "تاريخ استقرار العرب بإفريقيا الساحلية من خلال وثائق المؤلفين العرب" وكتابه الآخر الذي

بطون بني عامر. وإنما يقصد بالمغطسين القبائل التي أعانت الاسبانيين ضد المسلمين.
ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص146.

1- عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص36.

2- أبو زيد الجامعي، المصدر السابق، 22/1.

ردمد ISSN 1112-4237 الايداع القانوني Depot légal 868-2003

صدر سنة 1888م بعنوان "تاريخ إفريقيا الساحلّية من الأزمنة البعيدة إلى الفتح الفرنسي", وكتاب دوبايلي حول "قلعة بني حماد عاصمة بربرية لإفريقيا الشمالية في القرن الحادي عشر". إضافة إلى كتاب جورج مارسي (Georges Marcais) الذي يحمل عنوان "العرب في بلاد البربر من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر"[1].

إنّ محاولة تحميل القبائل الهلالية مسؤولية تحويل مجالات وقرى المغرب الأوسط من الزراعة إلى الرعي قد ينطبق فعلا على القبائل المترحلة، بخلاف القبائل العربية المستقرة في مجال محدد والتي تركت حياة الترحال فإنّ هذه الأخيرة كان لها دور بارز في تنشيط الزراعة فبعد انكسار القبائل الهلالية بسطيف سنة (548هـ/1153م) تحولت عدة قبائل هلالية إلى حياة الاستقرار لتبدأ في ممارسة الزراعة. مثل قبائل سويد والديالم وأولاد عطاف وأولاد عريف[2]. وهو ما أشار إليه عبد الرحمن ابن خلدون عند قوله: "وصار العرب يزدرعون الأراضي في بلادهم بالتلول"[3].

1- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2008.

2- الطاهر بونابي، ظاهرة الاندماج الهلالي في المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرن 8هـ/14م ، قسنطينة: مجلة الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الأمير عبد القادر، عدد12، 2011م، ص142.

3- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 577/6.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني Depot légal 868-2003

ورغم أنّ الزراعة لدى القبائل العربية الهلالية ظلت فصلية فإننا نجد أنّ بعض القبائل قد نجحت في رفع المحصول مثل بني مزني وقبائل حصين[1]. وقد أكسبت الزراعة القبائل العربية كثيرا من الثراء، ونبه حسن الوزان إلى كون العرب المستقرين بين الأطلس والبحر المتوسط أكثر هناء وغنى من عرب الصّحراء، لا سيما فيما يخصّ اللباس وأسراج الخيول. وبيّن أنّ هؤلاء العرب كانوا يحصلون على كمية وافرة من الحبوب[2].

وهناك نقطة يجب الإشارة إليها، وهو أنّ دخول هذه القبائل المستقرة في صراعات ضدّ السلطة المركزية وتعرضها لغارات متكررة من طرف جيوش الدولة المركزية، أو هجمات القبائل البدوية قد جعلها تخسر الكثير من محاصيلها لا سيما مع سياسة حرق المحاصيل وانتساف الزروع[3].

وإذا كانت القبائل المستقرة قد أدّت دورا في تنمية المحصول الزراعي، فإنّ القبائل المترحلة على العكس من ذلك كانت تنهك كاهل الفلاحين أثناء عودتها من مشاتيها عند بداية موسم الحصاد عندما يأخذ كلّ شيخ قبيلة من الفلاحين والمزارعين كميات وفيرة من الحبوب وسط جو من الرعب في وسط لسكّان القرى بل وسكّان بعض المدن. ويصف الوضع عبد الرحمن ابن خلدون قائلا: "وربّما يلحق أهل العمران أثناء ذلك

1- بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م، صص 211-213.

2- حسن الوزان، المصدر السابق، 62/1.

3- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 171/7.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 2003-868 Depot légal

معـرات مـن إضـرارهم بإفسـاد السـابلة ورعـي الـزرع مخضـرا وانتهابـه قائمـا وحصـيدا، إلا مـا أحاطتـه الدولـة وذادت عنـه الحامية في الممالك التي للسلطان عليهم فيها سبيل"[1].

ولم يكن مثل هذا الوضع مشجعا لفلاحي المغرب الأوسط من أجل العمل كما توضحه نازلة سئل عنها الإمام المازري والتي تعكس معاناة الفلاحين بسبب بعض أعمال شيوخ العرب، وجاء في نص النازلة: ((عمن ابتلي به المسلمون من هؤلاء العرب الذين اقتطعوا أراضيهم ورباعهم ومنازلهم واقتسموها بالسيف وحالوا بينهم وبينها، فيخرج الناس إلى الحرث والحصاد وجمع الزيتون مستوفزين مستعجلين إلى الرجوع إلى مدائنهم يخاف كل واحد منهم إن تأخر عن أصحابه على نفسه وماله"[2]. ويواصل السائل في تصوير الواقع بقوله:" ويتركون كثيرا من زيتونهم عند جمعه لبعدهم عنه، وعدم تمكنهم من الأسباب فيه والمخاصمة عليه، فيحتـاجون لضـرورتهم أن يسـتأجروا علـى جمـع الزيتـون قبـل طيبه بثلثه وربما كان بنصفه، ولو وجدوا العافية لجمعوه على مهل بعد طيبه بأيديهم وعبيدهم.."[3].

وكثيرة هي النـوازل التي تبيّن اعتـداء أحد شـيوخ القبائل على أرض فلاحين آخرين، وتحويلهم من ملاك الأراضي إلى خدم وسـط غيـاب سـلطة رادعـة وقويـة تتكفـل بحمايـة أملاك هـؤلاء الرعايـا مثلمـا توضّـحه نازلـة سـئل عنهـا أبـو الفضـل العقبـاني

1-المصدر نفسه، 17/2؛ الميلي، المرجع السابق، 187/2.
2-أحمد بن يحي الونشريسي، المصدر السابق، 374/1.
3-المصدر نفسه، 374/1.

وملخصها أنّ أرضا معروفة لأناس ومنسوبة إليهم قديما وحديثا، ينتفعون بحرثها، ويؤدون خراجها للسلاطين، غير أنّ السلطان الذي تصفه النازلة((بالإمام الخليفة)) ملكها لرجل من شيوخ العرب لما رأى فيهم من المصلحة تمليكا مطلقا)). ثمّ تبيّن النّازلة أنّ أحد بني عمومة شيخ القبيلة تعدى على أرض مجاورة لإقطاعه، وكسرها بالحراثة، وقام بإحيائها ثم ادعى بأنه يستحقّها بذلك[1]، وتُشبه هذه النازلة نازلة أخرى سئل عنها محمد بن مرزوق عن أرض منحها السلطان لشيخ من شيوخ العرب[2].

إنّ مثيلات هذه النوازل كثيرة، وكلها تعكس مدى مأساوية الوضع الذي عاشه فلاحو المغرب الأوسط، فهي تخبر عن قيام بعض القبائل المستقرة بانتزاع أراضي السكان الأصليين والاستيلاء عليها وهو ما أثر سلبا في الزراعة. ومن المؤكد أنّ وضعا مضطربا مثل هذا قد دفع بكثير من السكان إلى الهجرة وترك أراضيهم3، فمدينة مستغانم مثلا قد خسرت أكثر من ثلثي سكانها بسبب مضايقة العرب لها على حسب رواية حسن

1-يحيى بن موسى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: حساني مختار، جامعة الجزائر: مخبر المخطوطات، 2004، 3/94-95.

2- المصدر نفسه، 3/101.

3-مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،1406هـ-1986م، 2/185.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 2003-868 Depot légal

الوزان[1]، ومثلهم سكان مدينة مازونة الذين تركوا مدينتهم بعد أن قام العرب بإثقال كواهلهم بالإتاوات حتى أصبحوا فقراء2.

2- الرعي وتربية الأنعام:

تعتبر البادية أفضل بيئة لتربية الأنعام ورعي الإبل، لذلك ساعد العرب في تنمية الثروة الحيوانية بالمغرب الأوسط إلى الحد الذي جعل كثيرا من المستشرقين يدعون أنّ القبائل العربية قد حولت مجالات بلاد المغرب الإسلامي إلى مجالات رعوية3 و إليك أهم الحيوانات التي عني العرب بتربيتها:

أ) الإبل:

كان العرب شغوفين بتربية الإبل، فحرصوا على تربيتها، لذلك كانوا يبعدون النجعة، بحثا عن منابت الكلأ في فياقي الصّحراء المقفرة، سعيا منهم لتكثير الإبل وتجويدها و يقول عبد الرّحمن ابن خلدون عن ذلك :" مسارح التلول ونباتها وشجرها لا يستغني بها الإبل في قوام حياتها عن مراعي الشّجر بالقفر وورود مياهه الملحة والتقلب فصل الشتاء في نواحيه فرارا من أذى البرد إلى دفء هوائه وطلبا لماخِض النِّتاج في رماله إذ الإبل

1-حسن الوزان، المصدر السابق، 32/2.

2-المصدر نفسه، 36/2.

3- يعتبر روجي لوتورنو Roger Le Tourneau, من أوائل من ركزوا على هذه النقطة. ينظر:

Rouger Le Tourneau , north Africa in historical Perspective » Dans current Problems In North Africa, Princeton University Conference, 1959,p4.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني Depot légal 868-2003

أصعب الحيوان فصالا مخاضا وأحوجها في ذلك إلى الدّفء"[1] ومن يقرأ كتاب الحيوان للجاحظ يجد تلك العلاقة الوطيدة بين العرب والإبل، حيث أنهم كانوا متخصصين في تربيتها وتكثير نّسلها وتجويده بطرائق لا يتقنها إلا أمثالهم[2].

وكان العرب يتفاخرون بالابل ويتنافسون في تحصيل أكبر عدد منها، فيكفي أن تعرف أن رجلا من رجالات العرب كحلوف بن علي بن جابر ونطاح أخوه وهم أهل إبل يكون عند الرجل منهم نحو ستين ألف بعير3. وفي ذلك يقول حسن الوزان: (وعندما يراد ذكر ثروة أمير أو شريف من الأعراب يقال وفلان له مقدار كذا من آلاف الابل، ولا يقال له مقدار كذا من الدنانير أو الممتلكات. وجميع الأعراب الذين يملكون الابل أمراء يعيشون أحرارا إذْ بها يستطيعون الإقامة في الصّحاري التي لا يقدر ملك ولا أمير أنم يذهب إليها لجفافها4)). وكانت القبائل العربية الصحراوية تستغل كل نوع من أنواع الإبل فيما يصلُح له, فقد اشتهرت عندهم الإبل الهُجن وهي ضخمة طويلة وحاملات ممتازة، لكنها لا تقدر على حمل الثقيل قبل أربع سنوات، والنوع الثاني البُخْت وله سنامان كلاهما صالح لحمل الثقل أو الركّاب،

1-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 152/2.

2-عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ، 87/1.

3- أحمد بن يحيى العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ط1، 1423هـ، 201/4-202.

4-حسن الوزان،المصدر السابق، 259/2.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 2003-868 Depot légal

وأما الرواحل فهي إبل رقيقة تصلح للركوب ومعروفة بالسرعة وتستعمل في البريد والأسفار وغيرها1.

وبهذا فإن العرب تفننوا في تربية الإبل، ونجحوا في التدخل الصناعي من أجل توليدها وتكثيرها والاهتمام بالأنواع الأصيلة منها، وهي حرفة توارثوها عن آبائهم وأجدادهم، لتتحوّل مسارحهم إلى مقصد لأصحاب قوافل التجارة كي يتزودوا منها بأحسن أنواع الإبل[2].

الخيل:

تعد الخيول العربية الأصيلة من أفضل أنواع الخيول، وقد تمرست القبائل العربية في تربيتها وانتقاء أجاودها وترويضها، ونوه حسن الوزان بالخيول العربية فقال أنها :"نادرة في بلاد البربر إلا ما يوجد منها في الصحراء حيث تستعمل للصيد... ويحافظون على نشاطها وخفتها ولو أنها تبدو ضامرة، ويتركونها ترعى العشب في فصل الربيع لكنهم لا يركبونها في ذلك الوقت" وبين حسن الوزان أن ملوك بلاد البربر لم يكونوا يملكون خيولا بسرعة خيول العرب في الصحراء، وبفضل هذه الخيول كان يمكنهم الفرار من وجه أعدائهم[3]. وأثنى حمدان خوجة على الخيول العربية منوها بولع العرب البدو بالخيل في زمانه فقال: "هؤلاء السكان يحبون الخيل حبا جنونيا، ولا

1-حسن الوزّان، 260/2.

2- مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية، 1982، صص309-310.

3- حسن الوزان، المصدر السابق، 263/2

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني Depot légal 868-2003

يفكرون إلا في مضاعفة أعدادها، وهم يفرّقون بين أنواعها، ويحفظونها بعناية"[1].

وشارك العرب في وفرة الخيل بأرض المغرب الأوسط، إذ ما لبثت أن تحولت بلاد المغرب الأوسط إلى أرض غنية بالخيل العراب[2]. واستمر تنامي هذه الثروة الحيوانية إلى أن صارت خيول بني عامر في بداية الاستعمار الفرنسي هي عمدة ما يعول عليه الفرنسيون، حتى أن الأمير عبد القادر قد اشتكى في نص نازلته للإمام التسولي من تمويل بعض أحياء العرب المجاورين للفرنسيين بالخيل3.

ا) تربية الغنم والبقر:

إذا كانت الإبل هي الحيوان الذي بالغ العرب في الاهتمام به في أيام الرحلة والانتجاع، فإن الغنم والبقر هما الحيوانان اللذان سعت القبائل العربية إلى التكثير منها في حالة الاستقرار، وذلك أن الناجعة من بدو الصحراء لم يكونوا يهتمون بالغنم والمعز والبقر لأنها تعيق تحركاتهم4. أما عندما تستقر القبائل الناجعة وتقصر عن الرحلة فإنها تستبدل الإبل بالماشية، وهو ما فعله أولاد عطية من الأثبج الذين ذكر ابن خلدون عنهم أنهم:

1- حمدان خوجة، المصدر السابق، ص34.

2- أحمد بن يحيى العمري، المصدر السابق، 65/4

3-علي بن عبد السلام التسولي، أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، تحقيق: عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996م، ص102.

4- حمدان خوجة، المصدر السابق، ص38.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 2003-868 Depot légal

"عجزوا عن رحلة القفر وتركوا الإبل واتخذوا الشاء والبقر"[1]. و قد حكى حسن الوزان عن القبائل العربية وكيف كانت في حوزتها أعداد لا تحصى من الغنم والبقر، وهو ما جعلهم لايستقرون في مكان واحد لعدم وجود أرض كافية لرعي هذه الأعداد الوافرة من الماشية[2].

ويمكن أن نأخذ صورة عن أعداد الماشية الكثيرة التي صارت للعرب من خلال ما كان يغنمه منهم السلاطين أثناء هزيمتهم لهم، فأثناء الصّراع بين يعقوب بن عبد الحق(657-685ه 1259-1285م) ويغمراسن بن زيان (633-680هـ/1235-1282م)اكتسحت أموال العرب الناجعة الذين كانوا مع يغمراسن بن زيّان وامتلأت أيدي بني مرين من نَعَمِهم ومواشيهم[3]. وكذلك بعد أن نشب الصراع بين خالد بن عامر وأبي حمو موسى الثاني, و تمكنت عساكر الزيانيين من إلحاق الهزيمة بخالد بن عامر، وقتل ملوك بن صغير مع العباس ابن موسى بن عامر، ومحمد بن زيّان من العامرين, غنَمَ الزيانيون الكثير من النعم والأنفال، والتي تدل على وفرتها عندهم[4].

وكانت مراعي العرب في تلك الآونة أحد أحسن المراعي وأجودها، بسبب خبرة وكفاءة القبيلة العربية لذلك حين أسند الزيانيون مهمة إدارة مراعي الأغنام لعبد الله بن كندوز الزناتي

1-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 33/6.
2- حسن وزان، المصدر السابق، 62/1.
3- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 270/7.
4- المصدر نفسه، 183/7.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 2003-868 Depot légal

استعان هذا الأخير بخبرة أبي سعيد المرعاء الأكبر، وكبير بني صبيح وأخيه موسى بن أبي سعيد[1]. واصطحب عبد الله بن كندوز معه شيخين من قبيلة صبيح من العرب، وذلك حين لجأ إلى المرينيين. وفي ذلك يقول ابن خلدون: "ونزل على يعقوب بن عبد الحق قبل فتح مراكش، فاهتز يعقوب لقدومه وأحله بالمكان الرفيع من دولته. وأنزل قومه بجهات مراكش، وأقطعهم البلاد التي كفتهم مهماتهم. وجعل السلطان انتجاع إبله وراحلته في أحيائهم. وقدم على رعايتها حسان بن أبي سعيد الصبيحي وأخاه موسى[2]، ووصلا في لفيفه من بلاد المشرق، وكانا عارفين برعاية الإبل والقيام عليها، وأقاموا يتقلبون في تلك البلاد، ويتعدون في نجعتها إلى أرض السوس"[3]. وبهذا يمكن القول أن الأماكن التي استقرت بها القبائل العربية وأشرف عليها شيوخهم قد تحولت إلى أحسن مراع للماشية وأكثرها أنعاما، على غرار

1- مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، المرجع السابق، ص 313.

2- قال عبد الرحمن بن خلدون عن الصبيحيين ((فالخبر عن أوليتهم أن جدهم حسان من قبيلة صبيح من أفاريق سويد، جاء مع عبد الله بن كندوز الكمي من بني عبد الواد حين جاء من تونس، فكان يباشر السلطان في شأن ذلك الظهر ويطالعه في مهماته، فحصلت له مداخلة أجلبت إليه الحظ، حتى ارتفع وكبر. ونشئوا في ظل الدولة وعزها وتصرفوا في الولايات فيها، وانفردوا بالشاوية فلم تزل ولايتها متوارثة فيهم منقسمة بينهم لهذا العهد إلى ما كانوا يتصرفون فيه من غير ذلك من الولايات، وكان لحسان من الولد علي ويعقوب وطلحة وغيرهم، ومن حسان هذا تفرعت شعوبهم في ولده، وهم لهذا العهد متصرفون في الدولة على ما كان سلفهم من ولاية الشاوية والنظر في رواحل السلطان والظهر الذي يحمل من الإبل، ولهم عدد وكثرة ونباهة في الدولة)). المصدر السابق, 458/7.

3- المصدر نفسه، 200/7.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني Depot légal 868-2003

المراعي الواقعة قريبا من وجدة التي سكنتها قبائل المعقل، والتي أخبر صاحب الاستبصار عما اتصفت به من جودة إضافة إلى كثرة نعمها[1].

3- التّجارة:

أدى المغرب الإسلامي لا سيما الأوسط دورا تجاريا هاما، فكان همزة وصل بين المشرق والمغرب، وتحولت هُنين إلى مركز تجاري هام، فمنها كان يصدر الذهب إلى أوربا و أشرفت تلمسان على الطرق المؤدية من إفريقيا إلى المغرب الأقصى[2]. هذا و كانت القوافل المارة بالصحراء تحمل إلى تلمسان الملح والعاج وريش النعام والصّماغ والطيب والعنبر للمسلمين[3]. ولم يكن شيوخ العرب في بدايات دخولهم إلى إفريقية يهتمون بالتجارة، بل حافظوا على حياة البداوة، وساهموا في قطع الطرق وشن الغارة على القوافل، ونتيجة لذلك تعطلت كثير من الأسواق في إفريقية والمغرب الأوسط فالإدريسي حين تكلم عن مدينة بجاية قال: "فالأسواق في المدينة والأرباض خالية بإفساد العرب لها"[4]، كما بين إضرار العرب بسوق الخميس فقال:"إلى سوق الخميس وبه المنزل وهذه الأرض كلها تحوّلها العرب وتضر بأهلها"[5]. أما

1- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1986م، ص177.

2-علاوة عمارة، المرجع السابق، ص106.

3-عمر سعيدان، المرجع السابق، ص26.

4- الإدريسي، المصدر السابق، 276/1.

5- الادريسي، المصدر السابق، 262/1.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني Depot légal 868-2003

المسالك التجارية بالمغرب الأوسط فغدت في بدايات الدخول الهلالي إلى مسرح لعمليات قطع الطرق سواء نحو بلاد السودان أو نحو بلاد المغربين الأقصى والأدنى. وهو ما كان له دور في تفعيل النشاط البحري من طرف التجار المسيحيين[1]. فيكفي أن نلاحظ أنّ الطّريق من فاس إلى تلمسان كان يستقر به لصوص من الأعراب قلما ينجوا التُجار من شرّهم لا سيما في فصل الشتاء، لأن السلاطين الزيانيين كانوا يقومون بتأجير بعض العرب لتأمين الطرق، غير أن انتقال هؤلاء المؤجرين إلى مشاتيهم، كان يفسح المجال أمام اللصوص من أعراب آخرين فُيغيرون على قوافل التجار[2].

أما قبيلة ذوي عبيد الله، ففرض مشيختها ضريبة على بلد هنين بالساحل، فلا يمكن لأحد من التجار أن يجيز منها إلى تلمسان إلا بإجازتهم له مقابل ضريبة يؤديها إليهم[3]. وكانت هذه الضريبة والتي يطلق عليها لفظ "الخفارة" معلومة المقدار وتسمحُ بتأمين قوافل التجارة. ومع مرور الوقت أصبح التجار في أمس الحاجة إلى قوة تقوم بتأمين تجارتهم و تنقلاتهم، فتم إسناد هذه المهمة إلى شُيوخ القبائل العرّبية، وهم بدورهم تكفلوا بالأمر وقاموا به أحسن قيام مقابل حصولهم على مبالغ متفق

1- الطاهر بونابي، ظاهرة الاندماج الهلالي، ص147.
2-حسن الوزان، المصدر السابق، 11/2.
3- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 81/6.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 868-2003 Depot légal

عليها، وبذلك تشجع كثير من التجار وسعوا إلى توسيع نطاق التجارة بين التل والصحراء[1].

وبينما اكتفت كثير من القبائل بتأمين قوافل التجارة، قبائل أخرى أن تتاجر لمصلحتها ببعض السلع والمعادن التي تحفل بها مجالاتها، مثل بني جارية بن وشاح أحد بطون سليم الذين أشرفوا على عمليات استخراج الملح وبيعه للنصارى[2]، وقد أدر عليهم ذلك أرباحا هائلة بسبب رواج هذه التجارة وكثرة عوائدها.

وسعت بعض القبائل العربية إلى تأمين السبل وحماية القوافل دون أي مقابل مادي، وذلك نتيجة اتباعهم وتأثرهم ببعض الدعوات الإصلاحية من داخل القبيلة، كأتباع سعادة من السنية، والذي أيده الكثير من رجالات رياح مثل أولاد مسعود أبي يحي بن أحمد وعطية ابن سليمان وحسن بن سلامة من أولاد طلحة بن يحي بن دريد، ومن أولاد عساكر عيسى بن يحي بن إدريس، ومن زغبة هجرس بن علي اليزيدي ورجالات من العطاف. واستظهر سعادة بهؤلاء الأمراء وأتباعهم على تأمين السبل وتغيير المنكر وإحياء السنة[3].

4- إنهاك بيت المال وتقليص مداخله:

1-الميلي، المرجع السابق، 187/2.

2- التيجاني، المصدر السابق، ص206. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، المرجع السابق، ص325.

3-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 362/2.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 2003-868 Depot légal

كان بيت المال هو الدعامة القوية لأي دولة إسلامية في العصر الوسيط. فهو يعتبر مصدر إيرادات الدولة وتمويل مشاريعها. وكذلك هو شأن دويلات المغرب الأوسط في تلك الفترة. وكانت الدولة الزيانية تملأ بيت المال من شتى أنواع الضرائب، وتقوم بتحصيل الخراج وجمع مال الزكاة. وفي عهد بعض السلاطين كان يتم التعرض لأموال الوقف وكانت الضرائب وأموال الزكاة يتم أخذها من الفلاحين والصناع والأغنياء عن طريق شيوخ القبائل العربية. وتشير نازلة ذكرها المازوني سئل عنها ابن عرفة مفادها: عما يأخذه أعراب افريقية من الزكاة من بلاد الظهائر فأجاب :" إن كانوا خدمة أجزأ وإن خالفوا على أميرها فلا تجزئ"[1] وهو ما يوضح أن بعض السلاطين كان يسخر شيوخ القبائل لتحصيل مال الزكاة، وأحيانا يقوم شيوخ العرب بأخذ الزكاة لمصلحتهم ودون إذن من السلطان كما توضحه نازلة اخرى مشابهة لنازلة ابن عرفة التي أفتى فيها الإمام البرزلي بقوله: "إن كان ملك افريقية جعل لهم اقتضاءات أجزأت وهو قول أكثر أصحابنا، وإن أعاد ذلك احتياطا فحسن للاختلاف فيه"2. أي أن هؤلاء العرب إن كانوا خدما للسلطان أجزء بذلها لهم، أما إن كانوا يجمعونها لمصلحة أنفسهم فالاحتياط يقضي بإعادة إخراجها.

1- يحي بن موسى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق : قندوز ماحي، الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية، 744/2.

2- المازوني، المصدر السابق، 744/2.

ردمد ISSN 1112-4237 الايداع القانوني 2003-868 Depot légal

وقد دفع تسلط شيوخ القبائل العربية وتنامي قوتهم إلى تقليص مداخيل بيت المال، فكثيرا ما قام هؤلاء الشيوخ باستخلاص الضرائب لأنفسهم في المجالات التي كانوا يشرفون عليها مثل قيام ذوي عبيد الله المعقليين بعد أن تملكوا وجدة وندرومة وبني يزناسن ومديونة وبني سنوس ففرضوا الإتاوات و الوضائع، وصار معظم جبايتها هذه الأقاليم والمدن لهم[1]. كما طالت ايدي بعض شيوخ العرب على أموال الوقف وأيضا حدث نفس الأمر مع أموال الزكاة التي بات سكان الأرياف والمدن الواقعة تحت قبضتهم ملزمون بأدائها لهؤلاء الشيوخ. وأيضا أدت الحروب التي خاضها سلاطين المغرب الأوسط ضدّ شيوخ القبائل العربية إلى إنهاك بيت المال وتقليص عائدات خزينة الدّولة. كما أنّ سياسة كسب ودّ شيوخ القبائل لم تكن لتتمّ دون إطلاق الدولة لأيديهم على ما تغلبوا عليه من البلاد. فحين استعان أبو حمو موسى الثاني ببني عامر والذواودة لاستعادة عرش تلمسان أطلق أيدي العرب على ما وجدوه في بيت المال بتلمسان[2].

ومن الطبيعي أن تساهم هذه الأوضاع في تفاقم ظاهرة الهجرة إذ ترك كثير من الفلاحين أراضيهم بحثا عن الأمن والاستقرار وفرارا من ظلم شيوخ القبائل. وكانت الوجهة هي إما

1- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، 81/6.

2- عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص92.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 2003-868 Depot légal

نحو المشرق أو المغرب أو إلى المدن السلطانية، وهو ما قلص المنتوج الزراعي وساهم في ظهور المجاعات والأوبئة.

لقد انعكس وجود القبائل العربية على الحياتين السياسية والاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني. فمن أبرز الانعكاسات السياسية؛ ضعف السلطة المركزية التي أشرفت على أقاليم المغرب الأوسط آنذاك، وتأجيجهم الصّراع بين المرينيين والحفصيين والزيانيين، إضافة إلى تقلص مساحة الدولة الزيانية بسبب استقلال شيوخ القبائل بالكثير من المدن، وأيضا من الانعكاسات مساهمة بعض بطون القبائل العربية في توطيد أقدام الإسبانيين في الاقليم الغربي المجاور لمملكة تلمسان. كما ألقى وجود هذه القبائل بظلاله على الوضع الاقتصادي في بلاد المغرب الأوسط سلبا وإيجابا. فإذا كانت القبائل العربية المستقرّة قد ساهمت في الزراعة، فإنّ القبائل الظاعنة قد أرقت الفلاحين ونهبت المحاصيل ونسفت الزروع. في المقابل ساعدت،كثير من القبائل العربية في تنمية الثروة الحيوانية من إبل وبقر وماشية وخيل، لتشكل مجالات العرب واحدةً من أهم الخزانات للخيول الجيدة والإبل المتنوعة الاستعمال. أما بخصوص التجارة فأدت القبائل العربية أدوارا مهمة في حماية قوافل التجارة مقابل مبالغ مالية معتبرة. وكان للظاهرة الهلالية انعكاس خطير على بيت المال، إذ أنّها تسببت في تقليص مداخيل الدولة، بسبب تحول الكثير من المجالات والبوادي من اختصاص شيوخ العرب واستبداد هؤلاء الشيوخ

ردمد ISSN 1112-4237 الايداع القانوني 2003-868 Depot légal

بجمع الضرائب وأموال الزكاة ناهيك عن مطالباتهم بالعطايا مقابل الغزو مع السلاطين أو كف الغارة عن المدن.

البيبليوغرافيا:

أ- المصادر

1.أبو زيد عبد الرحمن الجامعي، فتح مدينة وهران، ضمن "تاريخ تحرير وهران من الاحتلال الاسباني خلال القرن الثامن عشر الميلادي، من خلال مخطوطتين, تحقيق: مختار حساني، جامعة الجزائر، 2003م، ج1.

2.أبو راس محمد بن الناصر الناصري، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، تحقيق سليمة بنعمر، ط1، ليبيا:دار صنين للطباعة والنشر، 1370هـ-2002م.

3.أبو القاسم البرزلي، نوازل البرزلي"جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام"، تحقيق: محمد الحبيب هيلة، ط1، بيروت:دار الغرب الاسلامي، 2002م، ج6.

3.أبو حمو موسى الثاني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق: محمود بوترعة، الجزائر: دار الشيماء للنشر والتوزيع، 2012م.

4.أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم: ناصر الدين سعيدوني، ط1، بيروت:دار الغرب الإسلامي,1991م.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني Depot légal 868-2003
5.أحمد ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق:محمّد الشّاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس:الدّار التونسّية للنّشر، 1968م.
6.أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجمان في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي بوعبدلي، قسنطينة: منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، سنة 1973م.
7.أحمد بن يحيى العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ط1، 1423هـ، ج4.
8.أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، طبع بإشراف محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1981م.
9.حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت:دار الغرب الإسلامي، 1983م.
10.عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، ط2، بيروت:دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 2001م، ج:6-7.
11.عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق :محّمد بن عبد الكريم، بيروت: دار الحياة، 1972م.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 2003-868 Depot légal

12.علي بن عبد السلام التسولي، أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، تحقيق: عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996م.
13.عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، بيروات: دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ، ج1.
14.مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1986م.
15.محمد بن عبد الجليل التنسي، نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد، الجزائر: المؤسسة الوطنّية للكتاب، 1985م.
16.محمد بن محمد العبدري، رحلة العبدري، تحقيق: علي إبراهيم كردي، ط2، دمشق: دار سعد الّدين ، 2005م.
17.محمد الهادي الشريف، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس، تعريب:محّمد الشاوش-محّمد عجينة، ط3، تونس:دار سراس للنشر، 1993م.
18.يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، الجزائر: المكتبة الوطنّية، 1980م.
19.يحيى بن موسى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: حساني مختار، جامعة الجزائر: مخبر المخطوطات، 2004، ج3.
20. تحقيق : قندوز ماحي، الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينّية، ج2.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 2003-868 Depot légal

ب- المراجع

1.أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792 م، الجزائر: الشّركة الوطنّية للنّشر والّتوزيع، د.ت.

2.بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م.

3.جون.ب.وولف، الجزائر وأوربا 1500-1830، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ط1، الجزائر: عالم المعرفة، 2009م.

4.راضي دغفوس، دراسات عن بني هلال والهجرة الهلالية، منوبة: مركز النشر الجامعي، 2015م.

5.رشيد بوروبة وآخرون: الجزائر في التاريخ– العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية الحكم العثماني-، الجزائر:المؤّسسة الوطنّية للكتاب، 1984م.

6.شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محّمد مزالي والبشير بن سلامة، ط2، تونس: الدار التونسية للنشر، 1983م.

7.عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني "حياته وآثاره"، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م.

8.عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، دراسة سياسية عمرانية ثقافية, قسنطينة:طبع دار البعث، ج1.

9.علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2008م.

ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 2003-868 Depot légal

10.الطاهر بونابي، ظاهرة الاندماج الهلالي في المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرن 8هـ/14م، قسنطينة: مجلة الآداب والعلوم الانسانّية، جامعة الأمير عبد القادر، عدد12، 2011م.

11.مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1406هـ-1986م، ج2.

12.مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية، 1982م.

13.محّمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، ط1، تونس: جامعة تونس، 1999، ج1.

14.محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002م.

15.محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986م.

16.مولاي بلحميسي، نهاية دولة بني زيان، الأصالة، عدد26، السنة الرّابعة، 1975، جويلية – اوت، عدد خاص عن تاريخ تلمسان وحاضرها.

ج- المراجع باللغة الفرنسية

Rouger Le Tourneau , north africa in historical Perspective » Dans current Problems In North Africa, Princeton University Conference, 1959,p4.